

عنوان الدرس: الأغنية الشعبية

المصطلح : يجمع الباحثون في حقل الأنثروبولوجية و الدراسات الفولكلورية و الثقافة الشعبية على أن الفولكلور كمنهج للبحث و كمادة إبداعية ينضوي تحته حقلان كبيران، هما الثقافة الشعبية بكل مكوناتها الفكرية ، التاريخية، التطورية، و الثقافة المادية المرتبطة خاصة بالفن و العمران. و الأغنية الفولكلورية تندرج ضمن إطار الفولكلور و الثقافة الشعبية و فنونها. قد يختلف الباحثون في مجال الفنون الشعبية في تحديد مصطلح الأغنية و ضبطه بشكل دقيق، و لكنهم لا يختلفون على أنها تمثل محوراً من تلك الآثار و الظواهر الإبداعية التي تتجلى في أنماط الموسيقى و الغناء، و أشكال الرقص و التمثيل و مختلف ألوان الألعاب المتداولة، وكذا في تجليات الرسم و النحت، و جميع الصناعات التقليدية الدقيقة، أي أنها الفنون التي تتوسل في أداء بعضها بالنغم و الإيقاع و الحركة و الإشارة، و تلجأ في انجاز البعض الآخر إلى العمل اليدوي بكل ما يقتضي إحكامه و تطويعه و تجويده، من فنية و مهارة مهما تكن المهارة و الفنية في ظاهرهما متسمتين بالسطحية و البساطة (1). و الأغنية الفولكلورية ركن من أركان علم الفولكلور، و هي قصيدة شعر –غالبا- ملحنة، موسيقاها على السماع، و ليس على نوتة موسيقية مكتوبة ،

مجهولة النشأة

– في الغالب- ترتبط بالشعب و تشيع و تنتشر بين الأميين و العامة من الناس في الأرياف و المدن بتفاوت، يتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية دون حاجة إلى تدوين أو طباعة، يغنونها دائما جماعة أو فرادى، و ذلك بغرض التسلية و الترفيه، أو لأنها ترتبط بوظيفة اجتماعية معينة أو طقوس أو مناسبات، كأغاني العمل، و الأفراح و الأطفال .

إن الأغنية الفولكلورية ليست بالضرورة هي الأغنية التي أبدعها المجتمع، و لكنها الأغنية التي يغنيها الشعب، و التي تؤدي وظائف يحتاجها المجتمع، و يرجح أن يكون مؤلفها فردا واحدا، في الغالب ما يكون رجلا أو امرأة من العامة، ظل اسمها مغمورا يطويه النسيان. الا أنه من المؤكد كان أقوى موهبة في محيطه الاجتماعي، و قد يرجع تأليفها في بعض الأحيان إلى الارتجال. كلماتها متحركة دوما عن طريق الأداء الشفوي، في مختلف الطقوس و المناسبات مما يجعلها عرضة لكثير من التعديلات إما بالزيادات أو بالنقصان عبر انتقالها بين الأفراد و الجماعات على اختلاف مستوياتهم و انتماءاتهم الاجتماعية و الثقافية¹ كما تشيع الأغنية الشعبية مع غيرها من ألوان الفنون الشعبية القولية الأخرى كالأمثال الشعبية، و الحكايات، و

1-أنظر شوقي عبدالحكيم – موسوعة الفولكلور و الأساطير العربية دار العودة بيروت ط1 – 1982-

الأساطير و غيرها، في انتقالها من شخص إلى آخر و من منطقة إلى أخرى و من جيل إلى جيل ، عن طريق المشافهة دون أي اعتماد على التسجيل أو التدوين الذي ربما يعطيها نصا و لحنا و شكلا ثابتا محددًا، وهذا ما يجعلها تتصف بالمرونة و الحيوية، فهي قابلة للتغيير و التبديل باستمرار، فقد ينسى المغني النص ويستكملة من عنده، أو يحاول أن يبذل النص ليلائم المناسبة التي يغنى فيها، و كثيرا ما يحدث هذا في مناسبات الأفراح و غيرها و يساعد ذلك على أن تظل الأغنية الشعبية محفورة في ذاكرة الناس، و هي بذلك تواجه أنماط و تجارب و خبرات الحياة المتجددة (2).

و الأغنية الشعبية قد ترتبط بحادثة عارضة، أو ظروف طارئة مؤقتة انبثقت عنها، و بتغير تلك الظروف تفقد الأغنية تأثيرها في الشعب، و لاتعبر إلا عن موافق تاريخية معينة. كما نجد الفلاحين في موسم الحرث أو أثناء الحصاد، يستعينون على العمل بالأغنية الشعبية المصاحبة بالحماس و الحث على النشاط. و نجد الشئ نفسه في الرقص، فالأغنية المصاحبة تعمل على تنشيط الراقصين، و تمكنهم من المحافظة على الهزات و الخطوات (1).

2- انظر حسي عبدالحميد أحمد رشوان الفولكلورية و الفنون الشعبية من متطور على الإجتماع المكتب

لو حاولنا النظر إلى بعض الخصائص المميزة لفنوننا الشعبية لوجدناها مجملة على صعيد الشكل في عنصرين اثنين:

أ- **الفنية:** ونقصد بها العنصر الإبداعي المجسم للعطاء الذاتي للفنان الشعبي، مهما كان مستوى هذا الفنان بسيطاً و متواضعاً. و لعل هذا البعد الفني الإبداعي هو الذي يظهر قدرات المغني أو العازف على الآلة حين يرتجل انغاما أو إيقاعات توحى له بها لحظة الأداء. و هو الذي يجعل الحرفي صانع الخزف أو حافر الجبس ينسجم مع عمله بجميع حواسه و يهتدي إلى أشكال غير معهودة (2).

ب- **المهارة:** و كثيرا ماتختلط بالفنية – بينهما خيط رفيع-حيث ترتبط المهارة بالقدرة التي يكتسبها الفنان بحكم التجربة و الممارسة دون أن يحتاج في ذلك إلى معاناة داخلية تحرك حوافز الابتكار فيه.

و إذا كانت الفنون الشعبية الجزائرية تتسم بالغنى على مستوى الشكل فإنه كذلك على مستوى المضمون، بما تعبر عنه من قيم راسخة يمكن اجمالها في بعدين اثنين:

1- بعد وطني، ويرتبط بالدفاع عن الذات و الأرض يمكن أن نمثل له ببعض الرقصات المشهورة في بعض المناطق من الجزائر كرقصة لعلاوي في

(1) انظر عبد الحميد يونس – التراث الشعبي ص 42.

(2) انظر عباس الجراري – في الإبداع الشعبي ط 1 مطبعة النعارف الجديدة الرباط 1988.

منطقة الغرب الجزائري و رقصة سايق المطر، و رقصة البندقية، و رقصة النهاري أو لعروبي أو رقصة الحيدوس، و لعبة القوم (الفتنزا).

2- بعد روعي و يكشف طغيان القيم الدينية في نفوس الجزائريين بدء من الارتباط بالمعتقدات الدينية الى الاسلام الذي لبي حاجتهم الروحية و أجاب عن المعضلات التي كانوا يتطلعون إلى حلها من عالم الماوراء. ويتوسل الشاعر المغني بالصورة التي تتعدى التشبيه و أنواعه مما هو معروف، و يتعدى كذلك التشكيل الخارجي أو الصورة الشكلية لتصوغ عملا فنيا نابعا من الطاقة الخيالية القادرة على خلق صورة ذهنية، و النفاذ إلى عمق الأشياء وامتلاك الحقائق. وقد تستعين في ذلك بالرمز و الأسطورة، و بما قد يحملان من أفكار جديدة أو صور غير معتادة أو إشارات موحية و دالة على مدى الطموح و التخيل.

بعض مضامين الأغاني الفولكلورية

تعبير الأغنية الفولكلورية على انشغالات المجتمع وهمومه وتطلعاته وعلى هذا الأساس جاءت موضوعاتها متنوعة مواكبة للأحداث والتغيرات التي تطرأ على المجتمع، فهي تعبر عن موضوعات المقاومة، والثورة والبطولة والحماسة ونشوة الانتصار وما يتصل بالحرب بصورة عامة وهي، موضوعات أصلية في النص الشعري الشعبي العربي الذي عرف هذا النوع من الأشعار في سير الأبطال، وتراجم حياة القواد منذ القديم كسيرة عنتره وسيرة الهلاليين حيث يتولى المنشدون الجوالون تقديم ذلك صحبة بعض الآلات الموسيقية التقليدية المعروفة والرقصات الشعبية¹ وانطلاقا من هذا التعريف البسيط للأغنية يمكننا أن نأخذ مثلا على ذلك أغنية

¹انظر العربي دحو الشعر وهو في ثورة التحرير الكبرى لمنظمة الأوراس ج1 ص 87

فولكلورية بدوية عرفت على مستوى الوطن وخارجه وهي أغنية واد الشولي التي تغنى بها الشعب الجزائري أثناء ثورة التحرير وإلى الآن .

ان أغنية واد الشولي باعتبارها تراثا شعبيا وثيقة الصلة بالتاريخ والحضارة والأدب والفن، بل حتى بالجغرافية البشرية وحياة الإنسان وتطورها سواء على الصعيد المادي أو الروحي أو النفسي، والاستفادة من التراث الشعبي في هذا المضمار تقتضي الكشف عن جوانبه الايجابية القادرة على التكيف والتطور، أي الكشف عن طاقاته الوظيفية لتطويعها وإخضاعها حتى تمتد معركة التنمية، بعيدا عن أي موقف متطرف للتراث يتسم بالتقديس أو الرفض بل بعيدا حتى عن مجرد موقف المعاشة².

أغنية واد الشولي

أغنية واد الشولي إسم على مسمى، فهي تعبر على المعركة الشهيرة التي وقعت³ بواد الشولي وهو إسم البلدية، تابعة لدائرة أولاد ميمون شرق مدينة تلمسان على بعد حوالي 20 كلم. أغنية الشولي قصيدة شعرية شعبية من أورع ما عرف الشعر الشعبي في الجزائر الذي خلد ثورة التحرير بمآثرها وعظمتها. نظمت قصيدة واد الشولي الأصلية سنة 1959 من قبل المجاهدين السجينتين (بلعيد مولدية) من دشرة تيزي تابعة لبلدية عين فزة، و عيشة من قرية بني سنوس بلدية الخميس⁴. وهي على روايتين: الأولى متكونة من 18 بيتا ومطلعها :

من صابني كالحمام انرود و انشوف قبرك ابن علال

واد الشولي والجهاد اللي فيه يارب تنصر امواليه

² نفسه ص 130

³ - وقعت في شهر نوفمبر 1956. دامت مشادات المعركة من الساعة 7 صباحاً حتى 10 ليلاً. استعملت فيها مختلف الأسلحة .
استشهد فيها البطل بن علال وبعض رفاقه الذين لم يتبقى منهم إلا 7. ومات من الجيش الفرنسي 480 عسكرياً ، حسب إحصائياته .
- أما المعارك الأخرى بالمنطقة فهي : (معركة القادوس 1956) - (معركة جبل سبينو 1956) - (معركة دار الشيخ 1957) -
(معركة سيدي حمزة 1958) - (معركة مرسط 1959) (معركة جبل عساس 1960) - : ينظر إحصائيات المكتب البلدي للمنظمة الوطنية للمجاهدين واد الشولي .
⁴ أنظر شقرون غوتي الاغنية البدوية الثورية بين فترتي الثورة و الاستقلال 1954-1962 مخطوط ماجيستر جامعة تلمسان 2004

يا بلاد الكروش كي همية تلغى برربي و التساعية

لو كان تشوفوا نهار القدوس اللي حنينة قاع ما تسكتش

صبروا زهية على بن علال و الجهاد قليل من يديه

أما الرواية الثانية للقصيدة فتنسب للشاعرة و المغنية (مواليد الزانة) المدعوة عائشة من مواليد 1929 بقرية تاجموت المتاخمة لجبال واد الشولي و هي كما يقولون أرملة الشهيد البطل الطاهر موسطاش الذي تتغنى به المغنية مع أبطال آخرين. وتتكون قصيدة واد الشولي- الرواية الثانية - من 52 بيتا. ألقت مع بداية الاستقلال.

قصيدة واد الشولي:

اكبار اجماعة جاوا بالشارة اشربوا لامونات على خويا

شكون الزعيم كي بن علال شق الجبال يحرر الوطن

غط قراطك أعكاشة سبع طيارات في السما يضربوا

هدري انتيا بيني مولاك آلدسية لاتدريش العيب

آ الزنة قولي عليه انتيا ما دارشي خويا الدونية

الشار يضرب والتسركيلة آ بلحسن زير التحزيمة

النار تقدي والتسركيلة آ بلحسن زير التحزيمة

من جا بين الحكومة والزوج نهار الجمعة راه يشيب

عكاشة وارباعته راهم جاوا الكونفة جاية باللتي

زيش بلحسن راه فات عشية بالمورطي والتساعية

مول المورطي ومول لبياسا واتقابلوا يا الخو للعديان

محال تنجح أعكاشة لافيو تضرب والبحر حذاها

ظنيت قابضها السي مسطاش الدسية بين الجبال تصادي

راه في المجرة رافد الدسية شوفوا بن علال كي كوراجو

غ القارة والتساعية
راني على خويا اللي باعوع
نهار الجمعة راه يشيب
صوطني بالطاقة والقندول
نيفوا طويل مليح للشمة
شنايفه ملاح للشمة
اللي مات فيك الرايس بن علال
شحال ماتوا فيك زعامة
اللي مات فيك الرايس بن علال
شاف الطاقة والصنوبر بزاف
آنري هذاك هو قدور
أبويا قاع الجبال تعرات
أما الله يرحم الشهدا
سبع طيارات في السما يضربوا
خلوا البيرويات للوطن
نهار العدو ماكانش اللي جاح
بصغيرهم بكبيرهم جراوا
البسوا لخضر آبنات الوطن
آفرانسا ما بقالك حكام
أم بن علال غير صغير
صبروا زهية علا بن علال
الطاهر صوروه الكفار

زيش التحرير فات عشية
دارولوا قالو بالذهب وقلعوه
هما ثلاثة عولوا للموت
ما نفوطشي مع ديقول
ديقول ما انتاع الهمة
ديقول مشي نتاع الهمة
النايفك آواد الشولي
الله يخليك آواد الشولي
الله يخليك آواد الشولي
خويا الداه الغيوض ما ولاش
بياعهم بالروبلان يدور
الزيش المحرر وين راه بيات
هما اللي جابوا الحرية
موحال تتجح أعكاشة
يا فرانسا ما بقالك حكام
شبان باللحسن عولوا للكفاح
واد الشولي نتاع النظام
لحديد ندار للكفار
قاري العلم از ايد النظام
شق الجبال يحرر الوطن
الجهاد قليل من يديه
والحكاي هما اللي حضار

آللي خالفتوا على الشهدا
ريحة الجنة جاتني في الغابة
آلكرش اللي جابت الشهادي
الشهدا اللي ماتوا عليها
راه الليل والحال يصبح
آلحركي آلي غادي تسركل
دار الرباط شوار مغنية
دار المبات شوار مغنية
يا بلاد الكروش كي همية
لا تعيدوا لاتديروا حنة
نهارك آتزي كي يشيب
اللي مات فيك الرايس بن علال
الكونفة جاية باللتي
هذاك ولد ثناش مليون
شوف رجالي كي داير التحزيمة
واد الشولي والجهاد اللي فيه
آبويا هذا النهار يشيب
فكرتني بشبايه بن علال
شكون باعك آ الخياري
هي راقدة والنبي شهيد
الراية خضرة في يد الزعما
نمشي معكم آلزعاما

والحساب حتى لذيك الدار
ظنيت دهموها الزعاما
تستاهلي قصرين في الجنة
أراهم في جنة رضوان
أخايفة لتموتوا كفار
أقاتلك مرتك جيبلي بوصيار
زيش التحرير فات عشية
زيش التحرير فات عشية
تلغى بربي والتساعية
النار تقدي والتسركيلة
أبايت المورطي ياكل فيك
الله يهديك آ واد الشولي
أجايبة الرايس بن علال
لا تبكي لاتقولي ولدي
الشار يضرب والتسركيلة
يا ربي تنصر اماليه
هذا نهارك آبن علال
واش تسالني يا السي عكاشة
درتلك المحل تحت الوالي
سعدات اللي ولدها مجاهيد
في جبل لريس تسارة
والى عيبتوا نرفد القبلة

هو طويل وجا عليه الماط بلحسن ركبولوا لقراط

القصيدة

قصيدة واد الشولي (أو أغنية الشولي) على الأصح، هي صورة حية ناطقة لمعركة واد الشولي بتفاصيلها و جزئياتها، كل بيت فيها يروي قصة عن مآثر حرب التحرير وأمجادها، بل يصور شريطا ممتعا أحيانا و محزنا أحيانا أخرى، يقدم صُوراً للانسان باطنه و ظاهره، صُوراً للطبيعة بجمالها و سهولها و وديانها، و غاباتها، و سمائها، و بحرها، فهي بحق وثيقة تاريخية جغرافية لإحدى المعارك الخالدة للثورة التحريرية الكبرى، عبرت بصدق عن بطولة الرجال وشجاعتهم عن الهلع والحماس الذي يعيشه الشعب أثناء هول المعركة، التي يسود فيها قانون الغاب، الذي لا مكان فيه للضعفاء، قوة الحديد و النار، الدبابة، الطائرة، المدفع، الأسلحة بكل أنواعها.

النار تقدي و التسركيلة آبلحسن زير التحزيمة

خلدت لنا هذه الأغنية مآثر المجاهدين الشهداء الذين أبلوا البلاد الحسن في معركة واد الشولي و في ثورة التحرير، استطاعوا تلقين الاستعمار الفرنسي دروسا في التضحية و الجهاد ونكران الذات، نذكر منهم على سبيل المثال:

الثوار الذين خلدهم الأغنية

1- **بن علال** : إسمه الحقيقي " قريش قويدر بن محمد ، وسليمان فاطمة " وهو خامس إخوته الشهداء ، وهم على التوالي : 1- محمد -2 -عبدالقادر -3- أحمد- 4 -قويدر- 5 - لخضر- من مواليد 1928 بقرية بني هديل ، محاذية لعين غرابية تابعة لدائرة سبد و ولاية تلمسان. أطلق المجاهدون على منطقة "واد الشولي" اسم عروس المناطق. عاش فيها أبطال كثيرون، منهم العربي بن مهدي ، و هواري بو مدين و عبد الحفيظ بوصوف ، وأحمد لواج المدعو "الرائد فراج" وغيرهم.

- والأغنية تخلد هذا البطل المغوار وتشيد ببطولاته وتضحياته بكل عز وافتخار
في أكثر من بيت نذكر على سبيل المثال :

صبروا زهية على بن علال	والجهاد قليل من يديه
شكون الزعيم كي بن علال	شق الجبال يحرق الوطن
راه في المجرة رافد الديسة	شوفوا بن علال كي كوراج
آللي مات فيك الرايس بن علال	الله يهديك آواد الشوالي
أبويا هذا النهار يشيب	هذا نهارك آأبن علال
فكرتني بسمايم بن علال	واش تسالني آالسي عكاشة
نايفك آواد الشولي	إلى مات فيك الرايس بن علال

2- الزانة مواليد: من قرية تاجموت قرب واد الشوالي، وهي أرملة الشهيد الطاهر موسطاش، لا يمكن لعامل أن ينكر الدور الرائد الذي لعبته المرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية العظمى، فكانت المجاهدة بمالها ونفسها وفنها ، والفدائية والمسبلة والمناضلة التي قامت بواجبها بكل إخلاص ، وشملت تضحياتها كل الميادين ، إذ كافحت قوات العدو الفرنسي في الأرياف والجبال والمدن والقرى كجندية في جيش التحرير، وكمرضة، عالجت الجرحى والمرضى من المجاهدين في المراكز الصحية ، وتعرضت إلى السجن والإعتقال والتعذيب والتنكيل والإغتصاب ، فكانت مثالا لكل نساء العالم في التضحية والفداء .

مادارشي خويا الدونيا آ الزانة قولي عليه أنتيا

3- بلحسن: من قرية سيدي لحسن قرب مدينة بلعباس.

النار تقدي و التسركيلة آ بلحسن زير التحزيمة

الشار يضرب و التسركيلة آ بلحسن زير التحزيمة

زيش بلحسن راه فات عشية بالمورطي و التساعية

هو طويل أوجا عليه الماط بلحسن ركبولو لقراط.

4- عكاشة:

محال تنجح آ عكاشة لا فيو تضرب و البحر حذاها

فكرتيني بسمايم بن علال واش تسالني آ السي عكاشة

الكونفة جاية باللتي أجابية الرايس عكاشة

غط قراطك آ عكاشة سبع طيارات في السما يضربوا

عكاشة وارباعته راهم جابوا الكونفة جاية باللاتي

5- الطاهر: الطاهر موسطاش زوج الزانة مواليد صاحبة القصيدة .

الريفني مهلك و الرصاص يطير أبويا هذا نهار الطاهر

ظنيت قضبها السي موسطاش الديسة بين جبال تصادي

والحكاوي هما اللي حضار آ الطاهر صوروه الكفار

أسماء أخرى للعدو و أعوانه

1- ديقول : رئيس الجمهورية الفرنسية .

ما نقوطشي مع ديقول صوطوني بالطاقة و القندول

ديقول ماشي نتاع الهمة شنایفو ملاح للشمة

ديقول ما نتاع الهمة نفو طويل مليح للشمة

2- قدور: الحركي (البياع)

بياعهم بالروبلان يدور
ألاري هذالك هو قدور
أللي خالفتوا على الشهداء
والحساب حتى لذيك الدار
راه الليل و الحال يصبح
أخايفة لا تموتوا كفار
الحركي آللي ماشي تسركل
أقاتلك مرتك جيب لي بوصيار
شكون باعك آ الخياري
درتلك المحل تحت الوالي

أسماء الأماكن

واد الشولي نتاع النظام
بصغيرهم بكبيرهم جراوا
دار الرباط شوار مغنية
زيش التحرير فات عشية
نهارك آ تيزي كي يشيب
أبايت المورطي ياكل فيك
دار المبات شوار مغنية
زيش التحرير فات عشية
يا بلاد الكروش كي همية
تلغى بربي والتساعية
واد الشوالي و الجهاد اللي فيه
يا ربي تنصر مواليه
لو كان تشوفوا نهار القادوس
أللي حنينة قاع متسكتش
الراية خضرة في يد الزعما
في جبل لوريس تسارا

أسماء الأسلحة و العتاد الحربي

أ- الأسلحة:

الديسية:

راه في المجرة رافد الديسية
شوفوا بن علال كي كوراجو
هدري انتيا بيني مولاك
آ الديسية لا تدريش العيب

الديسية بين الجبال تصادي

ظنيت قابضها السي موسطاش

بلحسن ركبوا لقراط

هو طويل أوجا عليه الماط

المورطي و التساعية :

بالمورطي و التساعية

زيش بلحسن راه فات عشية

واتقابلوا يا الخو للعديان

مول المورطي و مول لبياسا

تلغى بربي و التساعية

يا بلاد الكروش كي همية

أبايت المورطي يضرب فيك

نهارك آتيزي كي يشيب

غي القارة و التساعية

زيش التحرير فات عشية

إلى عيتوا نرفد القنبلة

نمشي معكم آ الزعما

ب- العتاد :

الطيارة و الشار :

سبع طيارات في السما يضربوا

غط قراطك آ عكاشة

آ بلحسن زير التحزيمة

الشار يضرب و التسركيلة

الكونفة جاية باللاتي

عكاشة وارباعتو راهم جاوا

لا قيو تضرب و البحر حذاتها

محال تنجح آعكاشة

آناري هذاك هو قدور

بياعهم بالروبلان يدور

الشار يضرب و التركيلة

شوفوا رجالي كي داير التحزيمة

الأماكن الجغرافية للمعركة:

الجبال: توظيف الجبل في الأغنية رمز للسيادة وعنوان المقاومة والإستقرار الشبئي الذي يدعو إلى التفاؤل بالنصر.

شكون الزعيم كي بن علال
ظنيت قابضها السي موسطاش
الزيش المحرر وين راه يبات
شق الجبال يحرر الوطن
شق الجبال يحرر الوطن
ريحة الجنة جاتني في الغابة
شق الجبال يحرر الوطن
ظنيت دهموها الزعما

أسماء أخرى كالبحر و السماء :

لا فيو تضرب و البحر حزامها
موحال تنجح آ عكاشة
سبع طيارات في السما يضربوا
غط قراطك آ عكاشة
شوفو بن علال كي كوراجو
راه في المجرة رافد الديسية
سبع طيارات في السما يضربوا
موحال تنجح آ عكاشة
الوعي السياسي:

إن فحوى القصيدة يوحي لنا مدى حب المرأة الجزائرية للمجاهد الذي يدافع عن وطنه ، وقد تناقلت كثير من القصص والأخبار بين الناس عن العديد من النسوة اللواتي رفضن الإقتران بالرجال من غير المجاهدين في صفوف جيش التحرير. وقد صورت لنا الشاعرة المغنية الموقف السياسي للشعب الجزائري تجاه المستعمر الفرنسي حيث تطرقت إلى قضية الانتخابات التي كان يلجأ إليها الفرنسيون لجنس تبض الجزائريين حول السياسة الاستيطانية، لأن الاستفتاء يحدد نسبة القبول و الرفض لمشاريعه و مخططاته ، و على ضوء النتائج يتم إنجاز المشاريع التي تخدم المصالح الفرنسية. كما حدث في انتخابات 1957، و يبدو من خلال ما تضمنته المغنية شعرها، أنها كانت تتابع الأحداث السياسية عن كثب حيث تقول:

قالي فوطي عم ديغول يا أم صوتتي و هدم داري

ما نقوطيش مع ديغول سوطوني بالطاقة و القندول

هذه الأبيات تبين مدى الرفض القاطع لسياسة الجنرال ديغول. إن الأغنية البدوية أغنية تمثل هذه الأحداث و التواريخ و النماذج البشرية و الأسلحة و العتاد المستعمل في الحرب بين الطرفين و السجون و المحتشدات و الأعلام و المفاوضات و فرحة الاستقلال.⁵

هذه القصيدة غناها كبارالفنانين في ساحة الفن الشعبي البدوي أمثال الشبيخة الجنية و فرقة راينا راى ويردها كل أفراد و شرائح المجتمع، تغنى في المناسبات، و الأفراح، و أثناء مزاولة الأعمال الفلاحية، فالجميع يتداولها نظرا لقرب معانيها و وضوحها و سهولة محتواها الذي يشكل في الأصل رسالة ذات بعد وطني سياسي حماسي، إخباري بحيث اهتمت صاحبة النص بالتأريخ أكثر من غيره و أعطته حيزا كبيرا نتيجة تأثيرها بالثورة التحريرية و بطولاتها المنتالية رغم صعوبة الظروف التي دارت فيها من فقر و حرمان و اضطهاد و ظلم، بحيث تغلبت الإرادة في آخر المطاف و علا الحق و زهق الباطل.

بصغيرهم بكبيرهم جراوا آواد الشولي نتاع النظام (9)

وصفت المغنية الاستعمار بشتى الأوصاف و النعوتات منها، الكافر، العدو، الغادر، المستعمر، العسكر، الفرنسي، وكلها أسماء تعني في قاموس الشعب الجزائري الظلم الخوف الإشمئزاز و القبح. لا شك أن المرأة الجزائرية كانت عنصراً أساسياً في الثورة الجزائرية ، إذ وقفت إلى جانب الرجل و تحملت مسؤوليات سياسية

⁵ ماجستير مرجع سابق ص 205.

9 ماجستير مرجع سابق ص 226

وعسكرية ، وكانت سندا للكفاح المسلح وقدمت له الزوج والأخ والإبن والأهل ، هؤلاء الذين حملوا السلاح ضد الإستعمار الفرنسي ، وأبلى المرأة سواء في الريف الجزائري أو في المدينة البلاء الحسن من أجل خدمة الثورة ، وكانت مساهمتها على مختلف المستويات ، كثيراً ما عايشت المرأة اختطاف الأب أو الأولاد أو إعتقالهم ، وكانت عرضة في الكثير من المرات إلى استقزازات جنود الجيش الفرنسي ، كما كانت مشاركتها واضحة في جيش التحرير كمجاهدة تحمل السلاح ، لكن هذه الأخيرة لم تُرق في الرتب العسكرية على الرغم من مشاركتها الفعالة حتى في المعارك التي خاضها جيش التحرير ضد قوات العدو الفرنسي . (وقد أشاد مؤتمر الصومام بمساهمة المرأة في الثورة ، وثنى دور الحركة النسائية على العمل الباهر المقدم لجيش التحرير الذي قدمته هذه الأخيرة كمجندة في الجبال أو كزوجة تتكفل بالأبناء وكانت قناعتها أن الثورة ستنتهي لا محالة بالحصول على الإستقلال ، وقد لخص مؤتمر الصومام في تقريره الصادر سنة 1959 دور المرأة الجزائرية في النقاط التالية :

- 1- مؤازرة جيش التحرير عسكرياً ومعنوياً .
- 2- مقت الوشاة (البياعة) واحتقار الجبناء .
- 3- المساهمة في الجانب الإعلامي والإتصالات والتموين وإعداد الملاجئ .
- 4- إعطاء الإعانات للثورة .⁶

⁶ - تقرير مؤتمر الصومام سنة 1959 .

اهتمت هذه الأغنية بكل شئ كما سبق الذكر بالأشخاص بالزمان و المكان و العتاد و التخطيط و التدبير، و الأهداف حيث اتسمت بالموضوعية و الواقعية و هي وثيقة هامة لتاريخ الأحداث و كتابة تاريخ الثورة.

ان القصيدة البدوية الثورية احاطت بكل جوانب الكفاح المسلح اجتماعيا و سياسيا و عسكريا و نفسيا , و استطاعت ان تزرع الفكر الثوري بين أوساط السكان أمام غياب وسائل إعلام وطنية , و مقابل قمع عسكري استعماري لكل صوت او كلمة تحررية تدعو الى إنكاء الروح الوطنية . هناك حقائق كثيرة عن ثورة التحرير تضمنتها القصيدة البدوية حيث وصفت يوميات الجماهير الشعبية و موقفها من الاستعمار , و ساهمت في تعبئة الجماهير الشعبية فهي تندرج تحت الإطار العام للثقافة الوطنية .

لغة الشعر الملحون / باعتباره أغنية

لغة القصيدة باعتبارها أغنية تكتسي أهمية خاصة، لما فيها من طاقات و شحنات تحملها الذاكرة الفردية و الجماعية، و بما فيها من إحتكاك بالواقع الاجتماعي و الالتحام معه، تتميز بالشفافية و الحيوية و الجمال الساحر، فعل تأثيرها كان واسعا و قويا بحكم سعة انتشارها، دون إغفال ما تتضمنه من إحياءات و قدرات المواكبة و التطويع و التطوير في مختلف مجالات العصر، و ما تقتضي من تعبير جديد⁷ و اللغة في الأغنية البدوية ليست سوى أداة التعبير الشعري بمستويات متفاوتة تعود للشاعر و مدى قدرته على التحكم في الملكة اللغوية و عملية تشاكلها و اللعب بألفاظها و تعابيرها.والعامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام من اللهجات

⁷ - عباس الجراري في الإبداع الشعبي ص 62.

الإقليمية التي تختلف من جهة إلى أخرى ، بل أحياناً تختلف من قرية إلى قرية أخرى مجاورة لها . وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغوية كثيرة ، منها ما ينشأ عن الوراثة والطبيعة ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار ، ومنها ما ينشأ عن الإختلاف الناشئ عن اختلاف الجنس واللغة والطبيعة الفزيولوجية نفسها . (وإذا كانت اللغة إبنة المجتمع تتطور معه إذا تطور ، وتتأخر إذا تأخر وتجمد إذا جمد ، فإن الذي يبحث في الحصيلة اللغوية لشعب معين ، في فترة في فترة من التاريخ ، يفتتح بسداد هذا المذهب إن الحصيلة اللغوية التي يتكلم بها الشعب الجزائري تتفاوت بين جيل وجيل .فحصيلته اللغوية أثناء القرن 19 ليست هي حصيلته أثناء النصف الأول من القرن العشرين)⁸ و العامية الجزائرية حين يتوسل بها في التعبير الشعري أو إنشاد الأغاني في مختلف ألوانها و طوعها الفولكلوري و الشعبي لا تعدو عن كونها تؤدي مهمتها الطبيعية، و هي المهمة التي تنطلق من التبليغ و التواصل في شكلهما العادي المبسط إلى شكل آخر أكثر كثافة و أكثر حملا للإشارات و الرموز و الإيحاءات⁹.

الشعر الشعبي وسيلة فعالة لحفظ هوية الأمة وحامل لقضاياها وهو أدب هادف تأتي أشكاله المتعددة في التراث الشعبي لتنتقل صوراً من واقع الشعب في مختلف مناحي الحياة .رافق المجتمع في كل مراحلها وعبر بصدق عن الناس البسطاء ومعاناتهم وآمالهم بلغة يفهمها الجميع ويتفاعلون مع ما تحمله من قيم ومن دعوات إلى المقاومة ، وأغنية واد الشولي باعتبارها شعراً تمثل مادة ثقافية من حيث الدلالة التاريخية ، ركزت على التسجيل الدقيق للأحداث ورصدت الأسماء التاريخية المهمة وذكرت بعض الملابس المتعلقة بالحوادث التاريخية .

وقائع تاريخية كثيرة عجزت وسائل الثقافة والاعلام الرسمية عن اقتناصها وتسجيلها أثناء فترة الاستعمار وحتى أثناء الاستقلال سيما الشعر الملحون رصدها وسجلها بتفصيل¹⁰.

⁸ عبدالمالك مرتاض – العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى – الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع الجزائر 1981 –ص: 8

⁹ نفسه ص64.

¹⁰ - د. بشير خلف – الموروث الشعبي وقضايا الوطن – دار مزوار للطباعة والنشر – الجزائر -2005 ص: 83

ان منطلقات الأغنية تتبع بالأساس من واقع الحياة التي يعيشها المغني الشاعر وهي لاشك ذات ارتباط وثيق بهوموم المجتمع وآلامه وجراحه وتعبير كذلك عن تصورهِ لحياة يريدُها، وهذا في حدود تصورهِ وإدراكهِ لأسباب القضايا التي يطرحها. إن الهاجس الأساس في أغاني الثورة هو الموت والحياة ، هذه اللحظة الدرامية نجدُها في أغلب أبيات القصيدة . هذا الهاجس لا يفارق الشعب أثناء الحرب بما في ذلك عناصر الجهاد والمقاومة مع تشبثهم بالأمل في النصر والتعلق بالحرية والإنعتاق .

المراجع

- 1_عباس الجراري : في الابداع الشعبي _دار الكتاب الجامعي ط1 الرباط1988 .
- 2 – عبدالمالك مرتاض : العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى – الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع الجزائر – 1981
- 3_شوقي عبد الحكيم :موسوعة الفولكلور والأساطير العربية دار العودة ط1بيروت 1982
- 4_حسني عبدالحميد أحمد رشوان:الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع_المكتب الجامعيالحديث 1993
- 5_عبدالحميد يونس : التراث الشعبي _ دار المعارف مصر 1983
- 6_العربي دحو : دورالشعر الشعبي في ثورة التحرير الكبرى لمنطقة الأوراس ج1_ 1983
- 7_ شقرون غوتي : الأغنية البدوية الثورية 1954_1962 مخطوط ماجستير جامعة أوبكر بلقايد تلمسان
- 8_بشير خلف : الموروث الشعبي وقضايا الوطن

دار مزوار للثقافة والنشر الجزائر 2005

9- أنيسة بركات درار : نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية – الشركة
-الوطنية للكتاب – الجزائر 1985 .

10- إدريس كرم : الأدب الشعبي بالمغرب ، الأدوار والعلاقات في ظل العصرية
-منشورات اتحاد كتاب المغرب ط الأولى 2004 المغرب .